تأثير العادات والتقاليد العربية الإسلامية في الأندلس على الحضارة الأوروبية

أ.م.د. وجدان فريق / مركز إحياء التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد

تمهيد :

إن التأثير والتأثر بين الحضارات الإنسانية أمر بديهي لأنه يقع ضمن طبيعة البشر الفطرية في الافادة والتطور الذي يسعى له من خلال إيجاد كل ما من شأنه أن يجعل حياته أسهل وأرقى . والحضارة العربية الإسلامية واحدة من الحضارات التي كان لها دورها في المساهمة في تقدم الحضارة الإنسانية في مجالات كثيرة، والعادات والتقاليد العربية الإسلامية واحدة من الجوانب التي من خلالها يستطيع الباحث أن يجد فيه مادة دسمة يمكن من خلالها أن يصل إلى نتائج مهمة تكون فيها دلالة على التواصل الحضاري بين الشعوب، بعيدا عن الحياة والظروف السياسية المتوترة التي وصلت في كثير من الأحيان إلى حد الصدام المسلح، الذي كان سبباً في توقف نشاطات الحياة العامة، بل في عرقلة التواصل السلمي بين الأقوام المختلفة.

ومن المعروف أن الحضارة العربية الإسلامية قد انتقلت إلى أوروبا بعدة طرق منها : الأندلس وصقلية والحروب الصليبية، وغيرها . ومن تلك المعابر انتقلت جوانب من الحضارة العربية الإسلامية ومنها العادات والتقاليد العربية الإسلامية في الأزياء فقد تأثرت الأزياء الأوروبية بالملابس العربية الإسلامية، وفي الأكل والطبخ هناك الكثير من عادات الطبخ وأنواع من الطعام وجدت طريقها إلى المائدة والمطبخ الأوروبي، في البناء فان للبناء العربي الإسلامي صفات ومميزات سواء في تصاميم البيت أو في مرافق المدينة الإسلامية انتقلت إلى المدن الأوروبية، وفي التعليم والدراسة فان الأسلوب العربي الإسلامي في التدريس وأماكن الدرس كانت من الأمور المهمة التي نشطت الحركة العلمية في أوروبا.

تعد الأندلس إحدى أهم الطرق التي انتقلت من خلالها الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا ، وذلك للقرب الجغرافي بينهما، وكانت الأخيرة تدرك أنها إذا أرادت أن تتطور وتخرج إلى عصر النهضة، فلا بد أن تتصل بمراكز الحضارة العربية الإسلامية، ومنها الأندلس .

لذلك فإننا سنحاول في هذا البحث أن نركز على دور الأندلس في كونها معبرا من أهم المعابر التي انتقلت من خلالها الحضارة والعلوم العربية إلى أوروبا، وسيحاول البحث التفصيل في تلك الجوانب لبيان اثر العادات والتقاليد في التطور الحضاري بين الشعوب المختلفة لنعكس حقيقة مهمة في الحوار الحضاري .

وعلى الرغم من أن أوروبا نظرت الى العالم الاسلامي والاسلام بأنه عدو يجب محاربته، الا أن العلاقات التجارية والدبلوماسية مع العالم الاسلامي في المشرق والمغرب وتلك العلاقات استمرت على

الرغم من العداء السياسي، بحيث قاربت بين العالم الاسلامي والعالم الغربي . كانت طرق التواصل سهلة وتمثلت في ما يأتي :

- تناقل النصوص الشفوية للقصص العربية والشعرالعربي التي روجها الرواة الجوالون بين أهالي الغرب دون أن يدرك هؤلاء أصلها ومصدرها.
- المسافرون الأوروبيون الذين توافدوا على بلاد الأندلس بحثاً عن المعرفة والثقافة العربية الاسلامية .
- العلاقات التجارية المتواصلة والتقارب السياسي عن طريق السفارات الدبلوماسية .
- اللاجئون السياسيون مثل المستعربون الذين رغم التعايش مع المسلمين والتسامح ، هاجروا الى شمال الأندلس في فترات التعصب والتزمت الديني للعيش مع اخوانهم النصارى .
- خزائن المدونات في الاديرة مثل سانت ماريا دي ريبول الذي كان يحتفظ في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين بمجموعة كبيرة من الكتب العربية لترجمتها من قبل الرهبان والكثير منهم اصلهم من المستعربين .
- مدارس الترجمة التي أسسها الاساقفة والملوك في طليطلة بعد سقوطها بيد النصارى 487هـ/1085م مثل الاسقف رودربغو خيمينيث دي رادا وملك قشتالة وليون ، والفونسوا العاشر الملقب بالحكيم، والغرض منها التعرف على العلوم العربية الاسلامية ، والترجمة كانت ذات تأثير أقوى من الطرق الاخرى في نقل الثقافة الاسلامية الى أوروبا [1] .

أولاً : أهم طرق انتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا

تعد الحضارة العربية الإسلامية من الحضارات التي اتسمت بالإنسانية إذ جمعت شعوبا مختلفة وجانست فيما بينها ، كما إن الرقعة الجغرافية المترامية للدولة العربية الإسلامية ، والحقب الزمنية الطويلة التي حكمها العرب أتاحت لجيرانهم فرصة الاحتكاك بهم والتأثر بنمط حياتهم وعطائهم المتنوع .

وفيما يخص أوروبا فقد شكلت الأندلس معبرا مهما للعلوم العربية إلى أوروبا ولاسيما مدينة طليطلة التي ازدهرت فيها الآداب والعلوم أيام الحكم العربي ، فضلا عن مكتباتها الغنية بمئات المجلدات من الكتب ، وعندما احتل الفونس السادس طليطلة سنة 478 هـ / 1085م جعلها عاصمة لمملكته ، وقد أسهم في الاستيلاء على المدينة فرسان ألمان وايطاليون وفرنسيون ، حيث اندمج الجميع بسكان المدينة ،

[1] الجيوسي ، سلمى الخضراء . الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت، 1999) ، ص1477-1479.

فكان هذا سببا مهما للاهتمام بالحياة العقلية للعرب المسلمين من قبل المسيحيين واليهود الذين قاموا بدور الوسيط في التجارة ونقل العلوم العربية [2].

كما حمل مشعل الحضارة العربية عبر الأندلس آلاف الأسرى الأوروبيين العائدين من قرطبة وسرقسطة وغيرها من مراكز الثقافة الأندلسية ، كما مثل تجار ليون وجنوه والبندقية دور الوسيط بين المدن الأوروبية والمدن الأندلسية [3].

أما جزيرة صقلية التي حكمها العرب سنة 212 – 448هـ / 827 – 1091م، إذ استولى عليها النورمانديون والتي تعد من المراكز المهمة لانتقال الحضارة العربية إلى أوروبا ، فقد ظل التأثير العربي واضحا، حتى أن القرن الثاني عشر الميلادي شهد ظهور حضارة جديدة دالة على أخذ النورمانديين عن العرب أصول الاحتفالات في البلاط ، كما أخذوا عنهم أدبهم وعلومهم ، واستخدمت اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللاتينية واليونانية ، وضربت النقود على النمط العربي [4].

وبدأ التأثير العربي الثقافي والفكري متألقا خلال حكم فردريك الثاني (1194–1250م) ، فقد كان فردريك وابنه مانفريد يعرفان العربية قراءة كتابة ، وقد أنشأ جامعة نابولي سنة 1224م ، وجعلها أكاديمية لنقل العلوم العربية ، وكان للفلاسفة العرب مكانتهم في بلاطه [5].

واهتم شارل انجو الذي حكم صقلية (1226–1285م) بترجمة المؤلفات العربية ، ويرجح إنه كان لديه مؤسسة كاملة لهذا الغرض ، بما في ذلك مترجمون عرب ، مثل فرج بن سالم الذي ترجم كتاب الحاوي للرازي [6].

أما الحروب الصليبية ولاسيما بعد احتلال الشام وبيت المقدس ، فإن هذه المنطقة وإن أصبحت جسرا للتأثيرات الحضارية في المجالات التجارية والعسكرية والصناعية والزراعية ، إلا إن تأثيرها في مجالات العلوم والآداب والفلسفة كان محدودا قياسا إلى المجالات الأخرى . ولعل السبب في ذلك هو أن الجيوش الصليبية كانت جاهلة بالعلم ، ولم تكن تبالي بالمعارف العلمية بمثل اهتمامها بالبناء والأسلوب الصناعي ، ولكن هذا لا يعني أن تأثير الحروب الصليبية في تقدم أوروبا العلمي ، كان معدوما ، وذلك لما بين العلوم والصناعات من صلة ، وإن الاهتمام بأحدها لابد وأن يقود إلى الاهتمام ولو جزئيا بالآخر [7].

---

[2] هونكه ، زيغرد . شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع ، (بيروت ، 1969) ، ص 532 .

[3] هونكة، المرجع السابق ، ص 532 .

[4] يونغ ، لويس . العرب وأوروبا ، ترجمة ميشيل أزرق ، دار الطليعة ، (بيروت ، 1975) ، ص 121 .

[5] المرجع نفسه ، ص 121 .

[6] مظهر ، جلال . حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، د.ت) ، ص 521 .

[7] لوبون ، غوستاف . حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، (القاهرة ، د.ت) ، ص 338 .

وتعد القسطنطينية إحدى الطرق التي انتقلت بها العلوم والمعارف العربية ، ففيها تمت الترجمة من العربية إلى الإغريقية ، وقام بذلك جماعة من أهل القسطنطينية مع بعض الإيطاليين الذين أرسلوا إليها [8] . ويبقى طريق الأندلس أهم هذه الطرق وأجدرها بالاعتبار، وأكثفها من حيث النتائج والآثار .

ثانياً : تأثير الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس على الحضارة الأوروبية في مجال التعليم

لقد جرت العادة أن يتم تقسيم هذا التأثير للحضارة الأندلسية على أوروبا على ثلاثة مراحل :

1- عصر التأثير غير المباشر : وفيه كانت الأندلس بحواضرها قرطبة ، وغرناطة ، وأشبيلية ، وسرقسطة ، وطليطلة مركزا لجذب طلبة العلم من أوروبا ، إذ بدأت هذه الظاهرة بشكل فردي ، بهدف الدراسة والاطلاع على الكتب العربية فيها ، ومن هؤلاء الراهب (الفرنس جربرت دي أورياك) الذي اهتم بالعلوم الرياضية ، وأصبح فيما بعد يعرف باسم البابا سلفستر الثاني (390-394 هـ) ، وله دور بارز في نشر علوم العرب في أوروبا . كذلك هرمان الكسيح (1013-1054م) وهو ابن أمير دالماسيا الذي اهتم بكتب الرياضيات والتنجيم .

فضلا عن ذلك فقد كانت هناك بعثات علمية أرسلتها بعض الحكومات الأوروبية هدفها الاطلاع على مظاهر التقدم الحضاري في الأندلس والإفادة منها ، وأخذت تتزايد بشكل مستمر ، حتى بلغت سنة 312 هـ في عهد الخليفة الناصر زهاء سبعمائة طالب وطالبة ، ومن هذه البعثات بعثة برئاسة الأميرة اليزابيث ابنة خال الملك لويس السادس ملك فرنسا ، وبعثة فيليب ملك بافاريا برئاسة وزيره ويلمبين الذي يسميه العرب وليم الأمين وكانت تتكون من (215) طالب وطالبة انتشروا في أنحاء الأندلس ، وثمانية من أعضاء هذه البعثة اعتنقوا الإسلام ورفضوا العودة إلى بلادهم ، ومن بينهم ثلاث فتيات ، وبعثة ملك ويلز برئاسة ابنة أخيه تضم (18) فتاة من بنات الأشراف ، وكانت البعثة برفقة النبيل سفيلك رئيس موظفي القصر في ويلز ، واتجهت إلى مدينة أشبيلية ، وحظيت باعتناء من قبل خليفة الأندلس الذي أمر بالإنفاق عليها من بيت مال المسلمين .

كما امتازت هذه الحقبة بمحاولة ملوك أوروبا جلب علماء من الأندلس لتأسيس المدارس كما حصل في القرن التاسع الميلادي وما بعده ، عندما وقعت حكومة هولندا وسكسونيا وانكلترا عقودا مع حوالي (90) من الأساتذة العرب في الأندلس بمختلف نواحي العلوم ، واختير هؤلاء ممن كانوا يجيدون اللغتين الإسبانية واللاتينية . فضلا عن ذلك فقد وقعوا عقودا مع حوالي مائتي خبيرا في مختلف الصناعات ولاسيما صناعة السفن ، والنسيج ، والزجاج ، والبناء ، وفنون الزراعة ، وهؤلاء قاموا ببناء أكبر جسر على نهر التايمز في انكلترا عرف باسم جسر (هليشم) ، وهو تحريف لكلمة خليفة الأندلس هشام الذي أطلق اسمه على الجسر كجزء من العرفان بالفضل ، لأنه أرسل هؤلاء الصناع . كما شيدوا قباب الكنائس في بافاريا ، إذ توجد في مدينة شتوتغارت الألمانية سقاية ماء باسم (أميديو) وهو تحريف

[8] فهد ، بدري محمد وآخرون . الحضارة العربية الإسلامية ، مطبعة التعليم العالي ، (بغداد ، 1988) ، ص 156 .

لكلمة (أحمد) المهندس العربي الذي بناها ، فكان هذا العصر الذي استمر ثلاثة قرون البداية الأولى للتأثير الحضاري للأندلس على أوروبا [9].

2- عصر الترجمة من العربية إلى اللاتينية : يبدأ هذا العصر من منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ، إلى أواخر القرن الثالث عشر ، ويمتاز باهتمام المترجمين بترجمة العلوم العربية المنقولة عن اليونانية ، ثم ترجمة العلوم العربية الإسلامية ، وكانت مدينة طليطلة مهمة جدا لكونها تمتلك مكتبات غنية بآلاف المجلدات من المشرق ، وبقيت الثقافة العربية فيها حتى بعد سقوطها بيد الأسبان سنة 478 هـ / 1085م . وكانت حركة الترجمة فيها واسعة ، ففي عهد مطران طليطلة (ريموندو) 1126-1152م أسس معهد للترجمة تولى رئاسته (دومنجو عنصالفة) وكان من المترجمين المشهورين من العربية إلى اللاتينية عن طريق الاسبانية العامية ، وكانت الطريقة في الترجمة أن يتولى يهودي مستعرب بترجمة النص العربي شفويا إلى اللغة الاسبانية العامية ، ثم يتولى (عنصالفة) الترجمة إلى اللاتينية ، ومن أشهر هؤلاء اليهود في هذا المعهد (إبراهام بن عزرا) ، ومن المترجمين في هذا المعهد (خوان بن داود) الذي ترجم لابن سينا ، والمترجمان الانكليزيان (روبرت الكيتوني) الذي كان يدرس الفلك العربي والرياضيات في اسبانيا ، و(ادلارد الباثي) ، والأخير اهتم بجداول علم الفلك لمسلمة المجريطي ، وكذلك المترجم (ماركوس) شماس طليطلة الذي ترجم بعض مؤلفات جالينوس الطبية المترجمة إلى العربية أصلا ، و(هرمانوس المانوس) ، وكذلك (رامون لل) من أهل ميورقة الذي أسس معهد لتدريس العربية ، وكان قد برز بعد استرجاع الجزائر الشرقية من يد المسلمين سنة 627 هـ / 1230م . كما جاء إلى هذا المعهد علماء من أوروبا منهم (ميخائيل سكوت) الذي ترجم لابن سينا . فضلا عن ذلك فقد اهتم (الفونسو الحكيم) بالترجمة التي نشطت في عهده من العربية إلى الاسبانية ، إذ أنشأ سنة 1254م جامعة اشبيلية ، وخصصت لدراسة العربية واللاتينية [10].

3- عصر الاستعراب : ويبدأ هذا العصر من منتصف القرن الثالث عشر حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلاديين ، ووصف هذا العصر بأنه قمة التأثير العربي . وفيه كانت العلوم العربية المختلفة ذات أثر في تكوين الفكر الأوروبي في مختلف ميادينه [11].

إن بلاد الأندلس بموقعها الجغرافي أصبحت حلقة تواصل حضاري بين العالم الإسلامي وأوروبا ، وكانت طرق التواصل سهلة تمثلت بالوسائل الآتية : المسافرون الأوروبيون الذين جاءوا إلى بلاد الأندلس بحثا عن المعرفة والثقافة العربية الإسلامية ، وكذلك العلاقات التجارية المتواصلة ، والتقارب السياسي

[9] السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون . تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، مديرية دار الكتب والطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، (الموصل ، 1986) ، ص 474-477 .

[10] السامرائي ، المرجع السابق، ص 477-479 .

[11] المرجع نفسه ، ص 479 .

عن طريق السفارات والبعثات الدبلوماسية ، فضلا عن اللاجئون السياسيون كالمستعربين الذين رغم تعايشهم مع المسلمين بروح من التسامح هاجروا إلى شمال الأندلس في حقب التعصب الديني للعيش مع النصارى هناك ، كذلك خزائن المدونات في الأديرة ولاسيما دير سانتا ماريا دي ريبول الذي احتوى بين القرنين الثاني عش والثالث عشر الميلاديين أعدادا كبيرة من المؤلفات العلمية العربية لترجمتها من قبل الرهبان الذين لهم أصل مستعرب ، وأخيرا مدارس الترجمة التي أنشاها الملوك والأساقفة بعد سقوط المدن الأندلسية في أيديهم [12].

ثالثاً : تأثير الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس على الحضارة الأوروبية في مجال الازياء .

عمل المسلمون على انتاج الحرير والورق الذي اكتسبوا سر صناعتهما من الصين ، وبلغوا في تلك الصناعة مستوى عالي من الحرفية ، حتى أن بعض الانسجة الحريرية الموشاة والمخطوطات المنمقة بالصور الملونة لاتزال تحفظ في المتاحف بعناية فائقة [13] .

إن احد السبل المهمة لانتقال العادات والتقاليد كانت المحاكاة ، فنسخت في طرز الملابس لبعض ملوك النصارى كتابات بالخط الكوفي مثل أدعية وآيات قرآنية دون معرفة بما تمثله ، على سبيل الظن أنها نوع من النقوش لغرض الزينة [14] . وكانت الكتابة الكوفية كانت تلائم الطرز الزخرفية في ذلك العصر حيث كانت تلائم الزخرفة في النسيج والخشب والمعدن [15] .

أما عن الاندلس فقد كانت مدينة غرناطة مركز مهم لتزويد أوروبا بالأنسجة المعروفة بالـ "غرنادين " وكان الطلب على تلك المنسوجات ذات الألون الزاهية والرسوم الهندسية والنباتية المختلفة في أوروبا كبير، حيث دخلت حتى في ألبسة رجال الدين وحفظ آثار القديسين ، وكذلك في ملابس الطبقة الأرستقراطية حيث صنعوا من تلك الاقمشة جبب ، حتى أن أزدياد الحاجة الى تلك الأقمشة جعلت التجار ينشئون الأنوال في مناطق متعددة من فرنسا وإيطاليا، وكان بعض العاملين في تلك المراكز من المسلمين . ومنذ القرن الثاني عشر الميلادي أزداد أهتمام الحياك الاوروبيين بالمواضيع الإسلامية حيث كثرت النماذج الخرفية المعتمدة على تقليد الحروف والكلمات العربية دون الأهتمام بالمعنى ، وأستمر ذلك حتى بعد انتهاء الحكم العربي الإسلامي حيث أن بقايا الصناع الاندلسيين الذين لم يهاجروا ظلوا يمارسون تلك الصناعة [16] .

---

[12] الجيوسي ، المرجع السابق ، ص 1478 .

[13] الجيوسي ، المرجع السابق ، ص1480

[14] المرجع نفسه ، ص1480 -1481.

[15] العبيدي ، صلاح حسين . الملابس العربية في العصرالعباسي من المصادر التاريخية والاثرية، دار الرشيد ، (بغداد، 1980) ، ص361.

[16] علبي ، عاطف . الحضارة العربية الاسلامية دورها في تكوين الحضارة الاوربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، (بيروت ، 2009) ، ص111

وكانت مدينة المرية الأندلسية فيها عدد كبير من دور الطراز، فإنتجت الأندلس جميع المنسوجات من الأصفهاني والجرجاني، إلى الديباج، وهو المعروف في المراجع الأجنبية باسم البروكاد، واشتهرت مدينة المرية بصنع الحلل والستور والمعاجر والثياب المعينية والخمر والعتابي (واسمه مستمد من حي العتابية في بغداد) . وأحسن الأندلسيون تقليد الأخير، حتى اشتهرت به المرية، وعن طريق الأندلس عرف الايطاليون والفرنسيون هذا النسيج، ومنهما انتشر في أوروبا تحت اسم (تابي) [17].

وكانت مدينة البيرة مشهورة بانتاج نوع من الكتان ، ذكر الحميري : " وكتان هذا الفحص يربي جيده على كتان النيل ، ويكثر حتى يصل إلى أقاصي بلاد المسلمين " [18].

ان النص الذي ذكره ابن حوقل عن ما يصنع من الملابس والفرش في الاندلس يدل على التقدم وعلى المهارة حتى انها كانت تحمل الى اصقاع مختلفة فقال : " ومن الصوف قطع كأحسن ما يكون من الارمني المحفور الرفيع الثمن الى حسن ما يعمل بها الانماط. ولهم من الصوف والاصباغ فيه وفيما يعانون صبغة بدائع بحشائش تختص بالاندلس ،تصبغ بها اللبود المغربية المرتفعة الثمينة والحرير وما يؤثرونه من الوان الخزوالقز ، ويجلب منها الديباج ، .....ويعمل عندهم من الخز السكيب والسفيق .....ويكون منه المشمع فيمنع المطر أن يصل الى لابسه .....ويعمل في بلدهم من الكتاني الداني للكسوة ....." [19]

كما أن المفردات التي دخلت الحياة اليومية ، تعكس التأثير الحضاري منها ألفاظ عربية خاصة بقص الشعر وتسريحه ، والملابس الداخلية ، فملابس السيدات الأسبانيات تزدان بأروع وأغلى الملابس، وكانت تحمل أحيانا اسمها العربي نفسه فيقال الجبة والدراعة ، وهي جبة ذات أزرار، واللحاف وهو المعطف من الفراء، والنسيج الحريري (الطراز) [20] .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن هناك إشارة مهمة من مدينة برغش التي لم يصل اليها الحكم العربي الاسلامي صمم دير لاس هو يلغاس ليكون رمز لالفونس السابع – وهو من رموز الحروب الصليبية المعادية للنفوذ الاسلامي – فإن زخارف البناء من الطراز الاسلامي فضلا عن أن معظم أجزاء القطع النسيجية الموجودة هناك والتي استعملت أكفانا للموتى صنع بأيدي إسلامية أو تقليد لنماذج إسلامية [21] .

---

[17] عيد ، يوسف . الفنون الأندلسية وأثرها في أوروبا القروسطية ، دار الفكر اللبناني ، (بيروت ، 1993) ، ص 124 .

[18] الحميري ، محمد بن عبد المنعم . الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط 2 ، مكتبة لبنان ، (بيروت ، 1982) ، ص 46 .

[19] ابن حوقل ، أبي القاسم النصيبي (ت 367 هـ) . صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، 1979) ، ص109.

[20] الدوري تقي الدين عارف ، تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس – دراسة في المصادر والتاريخ والحضارة والتأثير ، منشورات جامعة ناصر ، الخمس ، (ليبيا ، 1997) ، ص 317- 318

[21] الجيوسي ، المرجع السابق ، 2/ 852 .

إن تكفين القديسين باستعمال الاقمشة الاسلامية أمر وإشارة غاية في الاهمية لأنه يعكس بأن المسيحيين كانوا ينظرون الى تلك المصنوعات بعين الاعجاب والتقدير [22] .

وفي متحف فيش قطعة من الحرير تزدان بصور من الحيوانات وهي تقليد للاندلسيات [23] . ومن الآثار المهمة الموجودة في متحف كليفلاند الستارة المأخوذة من الحمراء ، وغيرها من الاقمشة التي كانت توضع مع جثمان الميت في الشمال المسيحي وهي في الاصل أقمشة أسلامية [24] .

ومن الآثار الباقية حتى اليوم ويبدو فيه تأثير الحضارة العربية الاندلسية هو أزياء الرقص الاندلسي فهناك صفات للراقص العربي وأهمها طول العنق والتماثل في الاعطاف ورقة الخصر وحسن تناسق الجسم ولطافة القدمين ولين الاصابع وسرعة الانتقال في الدوران واتساع الملابس واستدارتها وجمالها وزركشة الوانها وغيرها، وهو مانجده في الرقص الاندلسي لاسيما في المقاطعات التي يسميها الاسبان "أندولسيا " وهي إشبيلية ،قرطبة ، ويلفا ، قادس ، مالقة ، غرناطة ، المرية ، وجيان . وتختص تلك المقاطعات اليوم برقص وغناء وموسيقى وفيها فنانون محليون وعالميون من الاسبان الاندلسيون ولباس الراقصة الاسبانية الاندلسية يكون زاهيا ملونا كأنه ذنب الطاووس ويكون الراقص ضامر الخصر ، رشيقا ، يلبس حذاء خشبيا ذا كعب عالٍ مع قميص ملون وسروال أسود ، والاسبان في رقصهم الشعبي لاينكرون ما للرقص العربي الذي كان في الاندلس من تأثير في حياتهم وعاداتهم . وتقوم بعض المعاهد والجامعات بأعداد دورات لتعليم الرقص الشعبي الاندلسي خلال أشهر الصيف ، ومن يطلع على مميزات الرقص الاندلسي الاسباني يرى أن الكف والقيثارة والصنج تترافق مع النغم الموسيقي والغناء الاسباني ترافق الانسان لظله وهي جزء لايتجزاء من تاريخ البلاد حيث عاش العرب هناك ثمانية قرون [25] .

ومن خلال ملاحظة الراقصين في مجالس الرقص في جنوب اسبانيا بما يقدمه الغجر من الرقص المسمى " الفلامنكو "، حيث أن الراقصين يقومون بالتعبير والرمز الفني الدقيق الذي تشير حركاته الى كل معنى ظاهر وخفي في الجسم والروح، نجد أثر ذلك في التراث العربي الاسلامي فعندما قرأت وصف مجالس الطرب في الاندلس لوصف الراقصة من حيث الصفات الجسمية والحركية[26]، نلمس أن ذلك لون من الوان الفنون شاع في الاندلس واستمر في أسبانيا يذكر بصورة جميلة بالحضارة العربية التي

[22] عيد ، المرجع السابق ، ص 125 .

[23] المرجع نفسه ،ص 125

[24] الجيوسي ، المرجع السابق ، 2 / 879.

[25] عيد ، المرجع السابق ،ص 107 -108

[26] حول مجالس الطرب في الاندلس وصفات الراقصة ينظر : – ابن الكتاني ، محمد . التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، تحقيق إحسان عباس ، (د.م ، 1986) ؛ ابن حمديس ، ديوان ابن حمديس ، دار صادر ، (بيروت ، د.ت) ، قافية الدال ، قافية الخاء .

أستطاعت ان تقيم بناءا شامخا من الفن الرفيع لاتزال آثاره قائمة في نفوس الاسبان وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم [27].

لقد كان روجير أول محبي العربية من ملول صقلية ، على أن ابنه روجير الثاني زاده في ذلك وتابعهما فردريك الثاني ، روجير الثاني كان يلبس كالمسلمين فسماه منتقدوه بالملك الوثني لقد كانت جبته مزينة بالحروف العربية وبالخط الكوفي ، وظل الزي الاسلامي شائعا حتى ولاية حفيده وليم الثاني (1166-1189) [28].

وفي مدينة بلرم كان زي النساء المسيحيات هو أزياء المسلمات ، فقد شاهد ابن جبير ذلك فقال " وزي النصرانيات في هذه المدينة زي المسلمات: فصيحات اللسان ، ملتحفات ، منتقبات ، خرجن في هذا العيد المذكور وقد لبسن ثياب الحرير المذهب ، والتحفن اللحف الرائقة ،وانتقبن بالنقب الملونة ، وانتعلن الأخفاف المذهبة ،ويردن لكنائسهن أو كنسهن حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والتخضب والتعطر " [29] .

وفي عهد فردريك الثاني الذي كانت سياسته عنصرية مع المسلمين فقد ضم قصره فلاسفة من بلاد الشام وبغداد ذوو لحى مستطيلة وجبب فضفاضة [30]

ومن الاقمشة النسيج الدمشقي والذي كان يعرف باللغات الاوربية (damask) وقد أشتهرت بنسجه مدينة دمشق ، وقد أشتق اسمه منها ، وهو من المنسوجات الزخرفية.[31]

هناك الكثير من أنواع اللباس العباسي استعمل تحت مسميات أجنبية ، مما يدل على تأثر أوربا بحضارة العرب مما يثبت اصالة الفنون والتراث العربي الاسلامي . [32]

ومن نتائج الحروب الصليبية أن قامت علاقات ودية بين الاوروبيين والمسلمين منها على سبيل المثال : أن الفرنج لبسوا الازياء الوطنية لأنها أدعى للراحة أكثر من الازياء الاوروبية [33] . حتى في الملابس العسكرية فقد أخذ الفرنج من خلال الاحتكاك بالفرسان المسلمين وخاصة الايوبيين وضع علامات النسب وشارات الفرسان على [34] الدروع فضلا عن عادات الفروسية الاخرى ومن تلك الشارات

[27] عيد ، المرجع السابق ، 110-111

[28] علبي ، المرجع السابق ، ص 66 ؛ بدوي ، عبد الرحمن . دور العرب في تكوين الفكر الاوربي ، منشورات دار الاداب ، (بيروت ، 1965) ، ص10

[29] ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت 614 هـ) . رحلة ابن جبير ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت ، 1981) ، ص 274 .

[30] علبي ، المرجع السابق ، ص68.

[31] العبيدي ، المرجع السابق ، ص69.

[32] المرجع نفسه ، ص371.

[33] المرجع نفسه ، ص 57 .

[34] علبي ، المرجع السابق ، ص111 .

النسر ذو الرأسين وزهرة الزنبق والمفتاحين وهي بعض من شارات الفروسية الاسلامية ، كما ظهرت الجبة العسكرية التي تزينها الشارات المختلفة مثل النجمة والهلال والاسد [35]

وهكذا يبدو ان هناك ذوق جديد أكتسبه الاوربيون من خلال الحضارة الاسلامية في الاندلس والحروب الصليبية حيث نشأت عندهم عادات جديدة في ما يتعلق بالازياء والملابس [36]

ثالثا : تأثير الحضارة العربية في الاندلس في الحضارة الاوربية في مجال الطعام

تأثرت أوروبا بالحضارة العربية الاسلامية عبر طرق مختلفة منها الاندلس ففي مجال الزراعة، ولاسيما في عهد عبد الرحمن الثالث كانت الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس زاهية وأثارت اعجاب أوروبا، فالزراعة والبستنة والتجارة والصناعة بلغت درجة عالية من التطور، فمن الاندلس دخلت على سبيل المثال لا الحصر زراعة النخيل الى أوروبا [37] .

كانت عناية العرب في الاندلس بالزراعة كبيرة ، قامت على أسس بنيت على تجارب غنية في مجالات مختلفة فتطورات الزراعة وغدت من المعالم البارزة للحضارة العربية هناك ، وقد ساعدتهم الطبيعة حيث وفرة المياه والتربة الخصبة ، وسعى العرب الى ادخال أفضل أنواع الطرق والاساليب الزراعية، فاهتموا بدراسة انواع التربة وانواع السماد وطرق الغراسة واختيار البذور وأساليب السقي وأنظمة الري التي لايزال قسم منها باقي في بعض المدن الاسبانية ، منه على سبيل المثال بساتين البرتقال في مدينة بلنسية التي تسقى من الاقنية التي انشأها العرب منذ أكثر من الف سنة [38] .

إن تلك العناية كانت الدافع لنفل الكثير من النباتات والاساليب الزراعية من المشرق مثل زراع الارز والقطن والمشمش والخوخ والنارنج والبرتقال وقصب السكر والزعفران [39] والر مان [40]. ان تلك العناية بالزراعة أدت الى انتشار زراعة الرمان في مختلف مدن وقرى ومنها انتقلت الى أوروبا [41].

---

[35] المرجع نفسه ، ص 60 .

[36] المرجع نفسه ، ص62 .

[37] علبي ، المرجع السابق ، ص61 .

[38] ينظر : – ابن حوقل . صورة الارض ، ص 104 ؛ خلف ، محمد مولود . فضل العرب على زراعة الرمان بالاندلس ، منشور في ندوة التربة والزراعة عند العرب ، مركز احياء التراث العلمي العر بي ، جامعة بغداد ، (بغداد ، 1988) ، ص1 .

[39] خلف ، المرجع السابق ، ص4 .

[40] حول كيفية دخول نبات الر مان الى الاندلس ينظر :– ابن عذارى ، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد 712 هـ) . البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ج 2 ، تحقيق كولون وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، (بيروت ، د.ت) ، ص 40 ؛ الغرناطي ، محمد بن مالك ، زهر البستان ونزهة الاذهان ، تحقيق محمد مولود خلف ، (بغداد ، 2000) ، ص123

[41] خلف ، المرجع السابق ، ص13 .

كذلك اهتم علماء الزراعة العرب في الاندلس بزراعة الزيتون فكانت لهم خبرة واسعة في العناية بزراعة الزيتون ويتضح ذلك من خلال ماحوته كتبهم الزراعية [42] والتي من خلالها يظهر ما وصل اليه العرب في الاندلس من التطور في استخدام الأساليب الجيدة لزراعة الزيتون [43].

إن دخول تلك النباتات والاشجار الجديدة الى أوروبا وكذلك الصناعات الغذائية ، لابد وأن أثرت في الاطعمة والطبخ الأوروبي . فقد ذكر ابن جبير أن حاكم صقلية جعل أمور مطبخه إلى رجل مسلم [44].

وقد اهتم الملوك الاسبان بطيبات الطعام، والتفنن باستعماله، وهو أمر مقتبس من مسلمي الأندلس، الذين تركوا اكثر من كتاب في الطبخ [45]، وتتحدث عن مطابخ ثلاث أندلسي ، ومسيحي، ويهودي ، واشارات لطريقة اعداده ، وأكدت على نوع من الطعام ، يدعى المجبنات ، وهذا النوع لا يزال معروفا في المجتمع الاسباني تحت اسم (الموخابنة) وهي نوع من المعجنات المحشوة بالجبن المقلي، وتؤكل مغلفة بالسكر والقرفة والعسل وشراب الورد . فضلاً عن استعمال الفلفل المسحوق في الطعام [46].

ومن المفردات العربية التي دخلت على اللغة الأسبانية للتعبير عن أسماء نباتات منها : الأرز ، السكر، والزيت، وفي الأدوات المنزلية مفردات منها : الجرة ، القلة ، المخدة ، ومفردات في الموازين والمقاييس [47] .

من خلال الحروب الصليبية تأثر الفرنج بالذوق الشرقي في الأطعمة والأشربة، ولاسيما في أستعمال التوابل والسكر [48]، والأخير كان من أوائل الأطايب التي أدخلت الى الغرب ومع السكر دخلت الاشربة الخفيفة مثل الماء الممزوجة بخلاصة الورد، كالبنفسج وغيرها من الزهور العطرية وجميع أنواع القند والحلويات، وعندما نقلت بقيت محتفظة بأسمائها العربية الى لغات الفرنجة[49].

---

[42] ينظر حول الاهتمام بزراعة الزيتون والعناية به في الاندلس : الاشبيلي ، احمد بن محمد بن حجاج (ت القرن الخامس الهجري) . المقنع في الفلاحة ، تحقيق صلاح الجرار وجاسر ابو صفية ، مجمع اللغة العربية الاردني ، (عمان ، 1982) ، ص53؛ ابن البصال ، أبو عبد الله الطليطلي (ت 499 هـ) . كتاب الفلاحة ، نشر خوسي مارية مياس بيبكروسا ومحمد عز يمان ، معهد مولاي الحسن ، (تطوان ، 1955) ، ص 60 .

[43] خلف ،محمد مولود، اصالة تجربة العرب في زراعة الزيتون في الاندلس ، منشور في اسهامات العرب في العلوم الزراعية ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، (بغداد ، 1987) ، ص7.

[44] ابن جبير ، المصدر السابق ، ص 267 .

[45] من هذه الكتب : التجيبي ، ابن رزين . فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان ، تحقيق محمد بن شكرون ، (بيروت ، 1984) .

[46] السامرائي ، خليل إبراهيم . علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية ، وزارة الثقافة ، (بغداد ، 1985) ، ص 408 .

[47] الدوري ، المرجع السابق ، ص318 .

[48] المرجع نفسه ، ص 57 .

[49] المرجع نفسه ، ص61 .

ولابد من الاشارة الى أن مجال الزراعة والصناعة والتجارة كان من أكثر الجوانب التي تأثر بها الصليبيين من خلال الاحتكاك بالمشرق الاسلامي ، فقد ظهرت نباتات جديدة في البلدان الواقعة غرب البحر المتوسط كالسمسم والخروب والذرة البيضاء والليمون والبطيخ والمشمش وبصل عسقلان ، والاسماء الأوروبية لهذه النباتات محرفة عن لغات الشرق [50] .

لذلك نعتقد أن الغربيين اكتسبوا من خلال الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس والحروب الصليبية ذوق جديد في المأكل والمشرب [51] .

رابعا : تأثير الحضارة العربية في الاندلس على الحضارة الاوربية في مجال البناء

أما عن البناء فإن العرب المسلمين مارسوا في اسبانيا معظم الفنون الفرعية والعلمية التي مارسها المسلمون في الامصار الاخرى ، لقد أمتازت مدرسة الفن الاندلسية بصناعة المعادن وما تشتمل عليه من فن زخرفة وعمل نقوش بارزة او محفورة والترصيع بالذهب والفضة ونقش الحروف العربية [52] .

وكانت الاندلس مركزاً مهماً لصناعة الخزف ، فقد ذكر المقرى : أن هناك عدد من الصناديق العاجية نقشت عليه نقوش مختلفة بصور نباتات وحيوانات من وصفها تبدو أن تلك النقوش تحكي قصة أو أن فيها أحجية [53] .

وذكر أن أثر من عهد الامير هشام الثاني موجود في كاتدرائية جيرونا وهو بشكل صندوق خشبي مصفح بالذهب والفضة بأوراق النبات وعليه كتابة باللغة العربية ، وكان ذلك الصندوق من عمل صانعين هما بدر وطريف ، فقد صنعا الصندوق بأمر من حاجب للحكم الثاني كهدية لولي العهد هشام الثاني استخدمت المطرقة في صناعته [54] .

إن هذا النص يدل على اتقان الصناعة المعدنية التي هي من المواد الداخلة في البناء ، وان هناك من العمال المهرة الذين يجيدون تلك الصناعة .لقد نشأ من تمازج التراث النصراني والتراث الإسلامي ميزة للعمارة أنتشرت فيه القنطرة النعلية والأقبية التي مع الزمن بلغ بفضل الصناع المورسيكيين مرحلة متطورة.

أما عن صناعة الخزف الذي كان يدخل في البناء مثلا في صناعة الاحواض[55] والصحون وغيرها فمدينة بلنسية كانت مركز مهم لتلك الصناعة حيث المنتجات تصدر الى الى مدينة بوتييه فيما بعد غدت مركز لصناعة الخزف ، وكذلك الخزف المصقول الأبيض المدهون باللونين الأخضر والأسود وهو

[50] علبي، المرجع السابق ، ص61 .

[51] المرجع نفسه ، ص62 .

[52] المرجع نفسه ، ص110 .

[53] المقرئ ، ابو العباس احمدبن محمد . نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (ت 1041هـ)، تحقيق أحسان عباس ، ج8، دار صادر ، (بيروت ، 1968) ، ص 568-569

[54] علبي ، المرجع السابق ، 110

[55] ذكر المقرئ بعض تلك الاحواض ينظر : - نفح الطيب ، 8 /568- 569

المعروف بخزف إلفيرا او مدينة الزهراء ، وعلى العموم فإن صناعة الخزف كانت منتشرة في الاندلس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . ومدرسة الخزف الاندلسية تميزت بأشكال متنعدة من صناعة الخزف والفسيفساء ، لاسيما الآجر المختلف الألون الذي لايزال رائج في إسبانيا والبرتغال ، وعن طريق الاندلس أنتقلت صناعة الخزف الى أيطاليا [56]

كان للعرب أثرهم الواضح في تطور العمارة في أوروبا ، ولاسيما في اسبانيا ، ايطاليا ، وفرنسا وأظهر الفنانون الأوروبيون مهاراتهم الفنية في البناء وفقا للتقاليد الفنية العربية في الاندلس ، وأمتد تأثير العرب في ذلك المجال الى معظم بلاد أوروبا الغربية ، وجزء من أوروبا الشرقية . ويبدو التأثير العربي الإسلامي في العمارة الأوروبية في عقد ثلاثي الفتحات من طاق الواجهة الجنوبية للكنيسة في مدينة (شانتوخ) في محافظة (اللور الأعلى) في فرنسا ، وكذلك في عقد مقصوص على باب الواجهة الجنوبية لكنيسة (بلا تراك) في محافظة (الشارانت السفلى) في فرنسا وبوابة كنيسة (لابيل دنوار) في محافظة (كروز) في فرنسا [57] . ويظهر تأثير الفنون الإسلامية في بعض البلدات الواقعة في جنوبي فرنسا ولاسيما بلدة بوى ، إذ نرى الطابع العربي الإسلامي في العقود المتعددة والفصوص وفي الزخارف المشتقة من الكتابة الكوفية والزخارف المؤلفة من الجرائد أو سعف النخيل وفي العقود ذات الفصوص الملونة والمساند الخشبية كما يظهر تأثير تلك الفنون في كتدرائية (بوى) وهو المكان الذي يعد من أقدس الأماكن المسيحية المبنية في فرنسا ، حيث ظهرت عناصر معمارية زخرفية كمواد مجملة ومكملة لعناصر البناء .[58]

ويتضح تأثير العمارة العربية الإسلامية في بعض مباني اسبانيا وفرنسا كملعب المصارعة في مدينة مدريد الذي بني على الطراز العربي بأقواسه وأعمدته الرقيقة المتناظرة ونقوشه الاندلسية المتداخلة ، وماتزال بيوت السكن في أسبانيا مبنية على الطراز العربي وهي لاتختلف عن البيوت العربية القديمة التي لاتخلو من الزخارف ، وقد نشأ من تمازج فنون العرب والأسبان طراز خاص يعرف بالطراز المدجن الذي ازدهر في القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر بصفة خاصة وما أبراج كتثر من الكنائس في مدينة طليطلة الإ نماذج مقتبسة من المآذن الإسلامية [59] .

[56] علبي ، المرجع السابق ، ص110 .
[57] الدوري ، المرجع السابق ، ص 328 .
[58] المرجع نفسه ، ص328 .
[59] المرجع نفسه، ص 328 .

كما ان الدراسة التي قام بها الأمريكي (واشنطن أرفنك) اكدت تأثر البناء في المانيا وانكلترا وفرنسا بالطراز العربي في الأندلس ، وكانت المنصة الأندلسية للملك البافارى (لوريك الثاني) نموذج على ذلك ، وكذلك الحال بما يسمى بمزهريات الحمراء [60] .

ومن مميزات العمارة العربية الاسلامية في الاندلس طراز حدوة الفرس استخدمت لأول مرة في الاندلس في تصميم مسجد عبد الرحمن الاول حيث الاجنحة تحددها أروقة مزدوجة تعلوها القناطر وبدعم كل منها مسطحين عموديين على شكل حدوات الفرس المقنطرة ، وفي المقابل خففت القناطر لتتناسب مع أجزائها المتصلة ، فيم تفتر عقودها الحجرية عن تعاقب الاجر والحجارة في بنائها ، إن القوس على شكل حدوة الفرس، والقناطر ذات الخلفية الثقيلة هي بعض من مميزات العمارة الإسلامية في الاندلس [61] ، التي دخلت في تصاميم البناء عند الأوروبيين واستمرت حتى بعد زوال الحكم العربي الاسلامي عن الاندلس ، فنجد في بعض الأبنية التاريخية عقدة نعل الفرس في كنيسة ببشتر التي أقيمت في قصر عمر بن حفصون في جبال مالقة ، وفي " سان سلفادور دي بو يدس " بالديديوس فأن أسلوب البناء على شكل التيجان وشبكات النوافذ والشرفات المسننة وبعض النوافذ المزدوجة ذات عقود نعل الفرس ، وكذلك الحال في كنيسة سان ميجل دي فياريميو ، وكنيسة سان اندرس دي بدرينيانا ، ولاسبرة وغيرها ، ونجد البناء بالعقود المتراكمة التي تعتبر محاكاة لما في المسجد الجامع بقرطبة ، في مقصورة الصور المقدسة في كنيسة سانتا كريستينا دي لينا [62] .

وكذلك قصر بيدرو القاسي في اشبيلية يتكون من اشكال معمارية ترتبط عامة بالفن الاسلامي ، منها الاشكال الزخرفية المصنوعة بالجص في كل انحاء القصر ، يظهر اسمه بحروف عربية ، والامر ذاته في الكنائس في طليطلة وسرقسطة أروقة مزخرفة مقفلة ومفتوحة ، مأخوذة من واجهات ومآذن ذات طراز إسلامي ، ولايقتصر الامر عن ذلك بل أن أثر قديم مسيحي في ما يسمى " تمبيتو " في دير غواديلوب يحمل ملامح أحسن أختيارها من أنماط اسلامية من العصور الوسطى ، وفي برغش وهي من مركز حرب الاسترداد التي لم يصل اليها الحكم الاسلامي ،صمم دير لاس هو يلغاس في أوائل القرن الثالث عشر ليكون في بعض مظاهره معلما تذكاريا لألفونس السابع ، وهو من قادة الصليبيين المعادين للنفوذ الإسلامي في الجنوب . فزخارف هذا البناء الجصية مأخوذة بالكامل من نماذج أسلامية .[63]

[60] المرجع نفسه ، ص328- 329 .

[61] الجيوسي ، المرجع السابق ،2/ 865

[62] عيد ، المرجع السابق ، ص92 .

[63] الجيوسي ، المرجع السابق ، 2/ 852 .

كذلك فإن معبدين من معابد اليهود – أحدهما بني في القرن الثاني عشر ويعرف اليوم بكنيسة سانتا ماريا لابلانكا ، والثاني تاريخه في عام 1537م قد حول الى كنيسة تسمى الترانزيتو – التي بنيت في طليطلة أبان الحكم المسيحي قد زينا بأساليب الزينة الاسلامية الصرفة [64]

لقد أطلق العلماء مصطلح فن المدجنين[65] الذي يعتبر فن النماذج الاسلامية في بيئة غير إسلامية وقد أتسع ذلك الفن حتى امتد تأثيره الى المكسيك وبيرو ، وأستمر فن المدجنين في أسبانيا حتى بعد طردهم ، حيث كان الفن القوطي القادم من الشمال يتغلغل في الساحة الفنية ومع ذلك لم يختفي الفن الاسلامي الا مع ظهور عصر النهضة المصبوغ بالطابعالإيطالي كمنزل بيلاطس في اشبيلية ، وحتى ذلك الوقت بنى شارل الخامس قصره الغرناطي الفخم بالقرب من قصر الحمراء مشرفا عليه ومتأثر ببناءه [66] .

ولابد من ذكر الحمامات كونها من الاشكال المعمارية ويعود الفضل في إنشائها الى الوجود الإسلامي في الأندلس ، وكان الغرض من إنشائها أن يغتسل المرء قبل ذهابه الى الصلاة ، ثم أصبحت مؤسسة اجتماعية مهمة أفادة منها اليهود والمسيحيين ، وكان ذات طابع إسلامي ليس على النمط الروماني الإسباني القديم . وأقدم الحمامات الحمام الموجود في غرناطة ويعود تاريخه إلى القرن الخامس الهجري / القرن الحادي عشر الميلادي ويتكون من ثلاث حجرات واحدة للماء البارد وأخرى للساخن والثالثة مكان دافئ، وبعد انتهاء الحكم العربي الإسلامي في الاندلس بقيت الحمامات مرتبطة بالحياة الاجتماعية المسيحية ، وخير مثال الحمام المسيحي الموجود في جيرونا مما يدل على مدى تأثرهم بوجود المسلمين في تلك البلاد [67] .

وحفظت اللغة الاسبانية عدد من المصطلحات المعمارية التي ترجع الى اللغة العربية منها : كدان ، الخزانة ، البناء ، القبة ، السطحية ، الدعامة ، الجب [68] .

ومما يجدر ذكره أن هناك تناقض يجلب الانتباه هو أنه في الوقت الذي كانت السياسة تؤدي الى تدمير الوجود الاسلامي في شبه الجزيرة الإسبانية كان الافتتان بالفن الإسلامي مستمر حتى أن البعض يرى أنها لا تزال منذ ذلك الحين في الخلفية الفنية ، ومما يدعو الى الاستغراب أن بلاد صرفت الكثير

[64] المرجع نفسه ، 2/ 856

[65] تعني كلمة فن المدجنين فن المسلمين التابعين . المرجع نفسه 2/ 856 .

[66] الجيوسي ، المرجع السابق ، 856/2 .

[67] المرجع نفسه ، 2/ 878 .

[68] حتي ، فليب . تاريخ العرب ، ط 5 ، دار غندور للطباعة ، (بيروت ، 1974) ، ص 682 ؛ الدوري ، المرجع السابق ، ص318 .

من الجهد المادي والروحاني للقضاء على الوجود العربي الإسلامي ، حافضت خلال قرون عدة على النماذج الفنية للعدو [69] .

وربما يكون الجواب " بأن النمو المركب لتراث مشترك من الأشكال الذي كان في بعض أجزائه ، إن لم يكن فيها جميعا ، مميزا من خلال وجوده في تلك الأرض بعينها بدلا من خلال ارتباطه بجماعات دينية أو قومية تقيم على تلك الأرض . وفي داخل هذا التراث ، قد تحمل ظاهرة معينة دلالات إسلامية ، أو عربية ، أو مسيحية ، أو قشتالية ، أو قطلونية . بيد أن التوصل الى هذه الخصائص لايتم إلا بأدراك أن لغة مشتركة للتعبير عن الافكار والاذواق والمقاصد المختلفة كانت قائمة . ومع ذلك ، فمن المحتمل وجود عوامل أخرى غير الانتماءات الثقافية تأثر بها الفن في العصور الوسطى في اسبانيا وفي أماكن أخرى أيضا " [70] .

ومع ذلك لايكفي هذا لتفسير الفنون الاسلامية في شبه الجزيرة الاسبانية خلال العصور الوسطى ، لانها شهادة على الصفات المميزة البارعة على مدى القرون ، التي أحدثت تغيرا كاملا في أحد البلاد وعبرت عن بعض أفضل الطموحات لنظام عالمي ، دينيا وخلقيا ، تكون في منطقة نائية [71] .

وفي صقلية كان سقف المعبد (الكتدرائية) الذي بناه روجير الثاني في بلرم عاصمته قد زخرف بالصور والاشكال التي فيها نقوش كوفية ، لذلك فمن المحتمل أن الصناع العرب أشتركوا في بنائه ، وكذلك الحال في العمارات الاخرى في بلرم وصقلية [72] .

وفي عهد فردريك الثاني الذي أعتبر من الملوك المهمين في العالم المسيحي الذي انتهج سياسة التنصير والتهجير مع المسلمين ، الا أنه تأثر بالافكار والتقاليد العربية الاسلامية ، فقد كان في عاداته وحياته الرسمية شبه شرقي ، فقد أقام في قصره بيت للحريم على طريقة الملوك المسلمين [73] .

ومن نتائج الحروب الصليبية أن الفرنج تأثروا في سكناهم بالبيوت الشرقية ، حيث فضلوا السكن في تلك البيوت ذات الايوانات الواسعة والمياه الجارية فيها [74].

الخاتمة :

توصل البحث الموسوم" تأثير العادات والتقاليد العربية الاسلامية في الاندلس على الحضارة الاوربية "الى عدد من النتائج أهمها : –

[69] الجيوسي ، المرجع السابق ، 852/2 .
[70] المرجع نفسه ، 2 /853 .
[71] الجيوسي ، المرجع السابق ، 2/ 853 .
[72] علبي ، المرجع السابق ، ص66- 67.
[73] المرجع نفسه ، ص68 .
[74] المرجع نفسه ، ص 57 .

ان البحث في الجوانب التاريخية للحضارة من الدراسات التي أصبحت تأخذ اهتمام وتركيز لايقل عن الجوانب التاريخية السياسية من قبل المعنيين لكونها تظهر الكثير من الحقائق ، وتعكس كيف ان الحوار الحضاري بين الاقوام والشعوب الذين يعيشون في كنف حضارات مختلفة يحدث حتى في الازمان التي تكون فيه تلك الاقوام والشعوب في حالة من العداء السياسي .

اذ ان الحاجة والتكيف تعمل على خلق روابط مهمة بين الحضارات ، والطبيعة البشرية تميل الى الافادة من كل ما من شأنه أن يجعل حياتهم اجمل وأرقى ، وهذا هو الذي جعل الحضارة الاوروبية تتطلع الى الحضارة العربية الاسلامية لتأخذ منها الكثير ، مما كان سببا في خلق تلك النهضة التي وصلت بتلك الحضارة الى ما أصبحت عليه الآن .

ومع محاولات الانكار لذلك ومحاولة اضعاف تاثير الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس على العادات والتقاليد في الحضارة الأوروبية ، تأتي الشواهد الحضارية بما لايمكن انكاره.

ففي البناء وانتقال اساليبه والزخرفة والطراز المعمارية الموجودة في العديد من المدن الأوروبية ، والاقمشة وهيئة الملابس التي قلد فيها الحكام الأوروبيين الحكام المسلمين ، ولاسيما في الحقبة التي غدا فيها الاخيرين ضعفاء من الناحية السياسية ، وذلك خير دليل لايحتاج معه الى تعليق على المقدار الكبير من التأثر بالحضارة الاسلامية .

اما في مجال التعليم واهمية العلوم العربية الاسلامية وكيف أخذ الأوروبيين بنهم ترجمة الكتب ونقلوها وبنوا من أجل ذلك مراكز للترجمة ، واعتمدوا عليها في التعلم في مراكز التعليم في المدن الاوربية فهو حقيقة واضحة كالشمس .

ويبدو أن التغلغل الحضاري لايمكن قياسه وفق المعايير الاحصائية ، لأنها لم تحدث في زمن واحد ووقت واحد " لأن التأثير الحضاري المتبادل ليس تأثيرا كميا في أغلب الاحوال ، بل يعتمد على طبيعة التقبل لمن يتمثل ويستوعب ، وعلى تقارب الطرفين ، المؤثر والمتأثر ، الأمر الذي لايسع تقويمه الإ عن بعد ، وعقب مضي وقت من الزمن"[75] .

وخلاصة القول أن الحوار الحضاري بين الحضارتين العربية الاسلامية والأوروبية يبدو بشكل واضح من خلال تاثير العادات والتقاليد التي انتقلت الى الحياة الأوروبية عبر منافذ عدة كانت الاندلس واحدة من أهمها .

المصادر والمراجع :

[75] الجيوسي ، المرجع السابق ، 1481/2 .

أولاً : المصادر

1-الاشبيلي ، احمد بن محمد بن حجاج (ت القرن الخامس الهجري) . المقنع في الفلاحة ، تحقيق صلاح الجرار وجاسر ابو صفية ، مجمع اللغة العربية الاردني (عمان ، 1982) .

2- ابن البصال ، أبو عبد الله الطليطلي (ت 499 هـ) . كتاب الفلاحة ، نشر خوسي مارية مياس بييكروسا ومحمد عز يمان ، معهد مولاي الحسن ، (تطوان ، 1955) .

3- التجيبي ، ابن رزين . فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان ، تحقيق محمد بن شكرون ، (بيروت ، 1984) .

4- ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت 614 هـ) . رحلة ابن جبير ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت ، 1981) .

5- ابن حمديس ، ديوان ابن حمديس ، دار صادر ، (بيروت ، د.ت) .

6- الحميري، محمد بن عبد المنعم . الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط 2 ، مكتبة لبنان ، (بيروت ، 1982) .

7- ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي (ت 367 هـ). صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، 1979) .

8- ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد 712 هـ) . البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ج 2 ، تحقيق كولون وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، (بيروت ، د.ت) .

9- الغرناطي ، محمد بن مالك ، زهر البستان ونزهة الاذهان ، تحقيق محمد مولود خلف ، (بغداد ، 2000) .

10- ابن الكتاني ، محمد . التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، تحقيق إحسان عباس ، (د.م ، 1986) .

11- المقرئ ، ابو العباس احمدبن محمد (ت 1041هـ) . نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق أحسان عباس ، ج8 ، دار صادر ، (بيروت ، 1968) .

ثانياً : المراجع

12- بدوي ، عبد الرحمن . دور العرب في تكوين الفكر الاوربي ، منشورات دار الاداب ، (بيروت ، 1965) .

13- الجيوسي ، سلمى الخضراء . الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت، 1999) .

14- حتي ، فليب . تاريخ العرب ، ط 5 ، دار غندور للطباعة ، (بيروت ، 1974) .

15- الدوري، تقي الدين عارف . تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس – دراسة في المصادر والتاريخ والحضارة والتأثير ، منشورات جامعة ناصر ، الخمس ، (ليبيا ، 1997) .

16- السامرائي ، خليل إبراهيم . علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، وزارة الثقافة ، (بغداد ، 1985) .

17- ـــ وآخرون . تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، مديرية دار الكتب والطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، (الموصل ، 1986) .

18- العبيدي ، صلاح حسين . الملابس العربية في العصرالعباسي من المصادر التاريخية والاثرية، دار الرشيد ، (بغداد، 1980) .

19- علبي ، عاطف . الحضارة العربية الاسلامية دورها في تكوين الحضارة الاوربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، (بيروت ، 2009) .

20- عيد ، يوسف . الفنون الأندلسية وأثرها في أوروبا القروسطية ، دار الفكر اللبناني ، (بيروت ، 1993) .

21- فهد ، بدري محمد وآخرون . الحضارة العربية الإسلامية ، مطبعة التعليم العالي ، (بغداد ، 1988) .
22- لوبون، غوستاف. حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، (القاهرة ، د.ت) .
23- مظهر ، جلال . حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، د.ت) .
24- هونكه ، زيغرد . شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع ، (بيروت ، 1969) .
25- يونغ، لويس. العرب وأوروبا، ترجمة ميشيل أزرق، دار الطليعة، (بيروت، 1975) .

ثالثاً : البحوث المنشورة

26- خلف ، محمد مولود، اصالة تجربة العرب في زراعة الزيتون في الاندلس ، منشور في اسهامات العرب في العلوم الزراعية ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، (بغداد ، 1987) .
27- ــ . فضل العرب على زراعة الرمان بالاندلس ، منشور في ندوة التربة والزراعة عند العرب ، مركز احياء التراث العلمي العر بي ، جامعة بغداد ، (بغداد ، 1988) .